مُقدمات في
عُلوم التفسير

لفضيلة الشيخ
أ.د. يوسف بن عبد العزيز الشبل
أستاذ الدراسات العليا في قسم القرآن وعلومه
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

النُسخَةُ الأُولَىٰ

١٤٤٢ هـ - ٢٠٢١ م

جَمِيعُ الحُقُوقِ مَحفُوظَةٌ

الشيخ لم يراجع التفريغ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الكريم، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد...

فأهلًا بكم في لقاءات الأكاديمية المتخصصة في التفسير وعلوم القرآن مع فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور/ يوسف الشبيل عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

وباسمكم جميعًا نرحب بفضيلة الشيخ حفظه الله سائلين المولى عز وجل له التوفيق والسداد.

بسم الله والحمد لله وأصلي وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين، أما بعد ...

أيها الإخوة الكرام وأيتها الأخوات الفاضلات السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحياكم الله في هذا اللقاء المبارك وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يبارك لنا وأن يوفقنا للعلم النافع والعمل الصالح، وأن يسددنا، وهذا اللقاء أيها الإخوة بعدما التقينا عدة لقاءات في اللقاءات الماضية وكانت حول علوم القرآن وما يتعلق بعلوم القرآن من أسباب النزول، والمكي والمدني وجمع القرآن وكتابته، وقراءته، وكل ما يتعلق بعلوم القرآن، الآن ننتقل إلى علم التفسير ونلقي نظرة عامة على التفسير وأنواع التفسير وما يتعلق به، فالتفسير يعني حتى نعرف الفرق بينهما، التفسير وعلوم القرآن.

علوم القرآن تتعلق بالمسائل المتعلقة بالقرآن الكريم، المسائل التي لها علاقة وثيقة بالقرآن الكريم، مثل أسباب النزول مثلًا، ومثل جمع القرآن وكتابته، ورسم المصحف وأداء القرآن ونحو ذلك هذه العلوم وما فيه من دلالات الآيات مثل المحكم والمتشابه، والعام، والخاص، والمطلق، والمقيد، ونحو ذلك من هذه العلوم الملتصقة بالقرآن الكريم.

فعلوم القرآن تتعلق بالقرآن ذاته، وأما التفسير فإنه يتعلق ببيان معاني الآيات وما تدلُّ عليه من أحكام هذا هو التفسير، ولذلك لتفسير يتعلق بالآيات ذاتها في كشف معاني هذه الآيات وإيضاح معانيها، والتفسير واضح يعني التفسير هو كشف لمعاني الآيات وما تدلُّ عليه، يعني التفسير هذه الكلمة مأخوذة من الفسر، والفسر؛ هو الكشف والبيان، والإيضاح، الأشياء الغامضة، الأشياء المشكلة، المعاني التي لا تظهر عند كثيرٍ من الناس، نبينها لهم ونفسرها ونوضحها هذا هو التفسير، فبيان هذه الألفاظ وبيان معانيها هو ما يسمى بالتفسير.

يقول الله سبحانه وتعالى في مخاطبة محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ أي: الكفار ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ **[الفرقان:٣٣]**، أي: أحسن تفصيلًا، وبيانًا، وإيضاحًا.

والتفسير؛ هو العلم المتعلق بالقرآن من حيث الكشف عن الآيات، عن أسباب نزولها، عن دلالاتها من حيث أنها محكمة أو متشابهة، من حيث دلالاتها من حيث أنها عامة أو خاصة، أو مطلقة أو مقيدة، أو مجملة أو مفسرة، أو حلال أو حرام، أو نحو ذلك، فهذا العلم يسمى التفسير.

كشف المعاني والدلالات:

تُكشف لنا معاني هذه الألفاظ ما معنى هذا اللفظ ما معناه؟ هذه الآية لما نقرأها قد لا نفهمها مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾[العاديات:٦]، ﴿لَكَنُودٌ﴾ هذه اللفظة ما معناها؟ الإنسان، ما المراد بالإنسان هنا؟ هل هو الإنسان المطلق، أو الكافر، أو نحو ذلك؟ فنعرف معاني الآيات، نعرف دلالات الآيات، لما يقول: ﴿لَكَنُودٌ﴾ ما معنى الكنود وعلى ما يدل؟ فنحرص في التفسير على هذين المنهجين:

المنهج الأول: كشف الألفاظ وبيان معانيها.

والمنهج الثاني: هذه الألفاظ تدل على معاني وهذا المقصود بعلم التفسير.

ولذلك يقول الزركشي: التفسير علمٌ يُفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد، علمٌ يُفهم به كلام الله وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه، هذا هو التفسير، قد نسمع أحيانًا كلمة التأويل كما يقول ابن جرير الطبري في تفسيره يقول: القول في تأويل هذه الآية هل التأويل هو التفسير؟ ولا التأويل شيء والتفسير شيء؟ نحن الآن عرفنا التفسير؛ أنه بيان معاني الألفاظ ودلالاتها، فما هو التأويل؟ التأويل: مصدر مأخوذ من الفعل أوَّل يؤول تأويلًا، فمعناها: الرجوع إلى الشيء وعاقبة أمر الشيء، كما قال الله سبحانه وتعالى في قصة يوسف عليه السلام قال في آخر القصة: قال: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾[يوسف:١٠٠] يعني هذا الآن حقيقة الأمر وعاقبته والآن انكشف الأمر رؤياي التي رأيتها وأنا صغير لما قال: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾[يوسف:٤]، الآن يراهم أمامه، يرى أبويه ويرى إخوانه يسجدون له، قال: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ﴾ هذا التأويل عاقبة الأمر ونهايته.

الطبري في تفسيره يقول: القول في تأويل هذه الآية —يعني في بيانها وتفسيرها- فأحيانًا العلماء يستعملون كلمة التأويل ويقصدون بها التفسير، فالتأويل والتفسير متقاربان وبعضهم فرَّق.

النبي صلى الله عليه وسلم دعا لابن عباس قال: «**اللهم علمه التأويل وفقهه في الدين**»، المقصود بالتأويل: تأويل الآيات، يعني في تفسيرها وبيانها، فهذا معناه، بعض العلماء يجعل التأويل والتفسير بمعنى واحد وبعضهم يفرق ويقول: التفسير؛ هو بيان الألفاظ عن طريق الرواية، يعني ما يُنقل عن السلف هذا يسمى تفسير، والتأويل؛ بيانها عن طريق المعنى اللغة العربية، فمثلًا لما نأتي عند كلمة ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ ننظر في كنود إن كان تفسيرها منقول عن السلف نقول: هذا تأويل، تأويل السلف لها، إن كان تفسيرها منقول عن اللغة العربية قلنا: هذا تفسير؛ لأنه بيان للمعاني في لغة العرب.

وبعضهم يقول: إن كان المعنى معنًى صريحًا، -هذا تفسير- إن كان المعنى معنى إشاري الآية تشير إلى شيء هذا التأويل، يفرق، مثال ذلك: يقولون: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾[النصر:١]، هذا ما معناه؟ بعض العلماء فسَّرها قال: عند صلاة المسلمين والفتوحات وانتشار الإسلام.

ابن عباس قال: هو أجل الرسول صلى الله عليه وسلم، هو أجله، ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ يعني اعلم أن الأجل اقترب، أجلك قرب وانتهت حياتك وستنتقل إلى الدار الآخرة، إذًا نقول: كلام ابن عباس تأويل والذين قالوا.... تفسير، تفسير للفظ الواضح الكلام الواضح، والتأويل للإشارة إلى الشيء، إذًا عرفنا الآن التفسير ما هو تفسير القرآن وما الفرق بينه وبين التأويل؟

ننتقل إلى مسألة أخرى وهي مسألة: نشأة علم التفسير، علم التفسير نشأ ومر بمراحل، أول نشأته كانت مع بداية نزول القرآن فالقرآن ينزل والتفسير معه؛ لأنه إذا نزلت الآيات النبي صلى الله عليه وسلم يفسرها لأصحابه والقرآن يفسر بعضه بعضًا نجد الآيات التي تنزل فيها تفسير، مثل قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢)﴾ **[الطارق]**، أين تفسيرها؟ موجود، الطارق؛ هو النجم الثاقب، القرآن يفسر بعضه بعضًا ونشأته مع نزول القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم كان يشرح لأصحابه معاني الآيات، لماذا؟ لأن الله قد وجهه هذا التوجيه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ **[النحل: ٤٤]**، ﴿لِتُبَيِّنَ﴾ فكان القرآن ينزل على الرسول صلى الله عليه وسلم والرسول يبينه.

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾، وقال سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ **[الجمعة: ٢]**، فكان الرسول يقرأ القرآن على أصحابه ويعلمهم معاني الآيات.

عصر النبوة عصرٌ حافل بالعلم والتعلم والقرآن، الصحابة كانوا يجالسون النبي صلى الله عليه وسلم ويحرصون على أخذ القرآن من في الرسول صلى الله عليه وسلم كما قال ابن مسعود يقول: تلقيت سبعين سورة من في رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانوا يُجالسون الرسول ويحرصون على ملازمته وكل ما نزلت عليه آيات أو سورة أخذوها وحفظوها وجلسوا لدراستها وفهمها مع الرسول صلى الله عليه وسلم فكان يبين لهم، كان هو المعلم لهم، ويبين لهم معاني الآيات حتى استوعبوها وفهموها، وأدركوا معانيها ودلالاتها.

فهذه فترة فترة النبوة وفترة عصر النبي صلى الله عليه وسلم في طريقة التفسير، لكن هنا نقطة مهمة وهو لنعلم جميعًا أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفسر القرآن للصحابة كلمة كلمة وإنما كان يفسر لهم ما يحتاجون إليه، فبعض العلماء يقول: إن النبي صلى الله عليه وسلم فسَّر القرآن كاملًا من أوله إلى آخره، لم يدعُ بكلمة إلا وبينها لهم، وبعضهم يقول: إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفسر إلا آيات معدودة.

والصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يهتم بالقرآن ويهتم بالصحابة، وكان يعتني ببيان ما يحتاجون إليه، فإذا احتاج الصحابة إلى شيء من الآيات بينها لهم، إذا لم يحتاجوا وهم يفهمون لأن سليقتهم سليمة ولغتهم سليمة فلم يحتج إلى البيان فلا يبين لهم.

بعد مضي عصر النبوة جاء عصر الصحابة واشتغل الصحابة بالتفسير بل برز منهم عدد بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم اشتغلوا وبرز منهم، وجلسوا للإقراء والتفسير حتى كانوا يشرحون لبعضهم لبعض الصحابة وصغار الصحابة والتابعين وأبناء الصحابة كانوا يشرحون لهم الآيات ويبينون لهم الآيات، والقرآن نزل بلغة الصحابة وهم يدركون هذه المعاني ويفهمونها، وحضروا التنزيل وشاهدوا التنزيل وعرفوا الوقائع وأسباب النزول، فهم أعلم الأمة بالقرآن ومعانيه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم الذي تتلمذوا على النبي صلى الله عليه وسلم وأخذوا عنه، فهم من أشرف الأمة وتفاسيرهم من أفضل التفاسير فإذا جاءك التفسير عن الصحابي فعليك به، فإنه أفضل التفاسير برز عدد من الصحابة في التفسير مثل ابن مسعود رضي الله عنه الذي يقول: ما من آية في كتاب الله أعلم أين نزلت وفيما نزلت، وكذلك علي رضي الله عنه علي بن أبي طالب الذي يقول: ما من آية في كتاب الله أعلم أين نزلت وفيما نزلت.

ومن أشهرهم أيضًا: عبد الله بن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن الذي دعا له النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «**اللهم علمه التأويل**»، وقال فيه ابن مسعود: «**ابن عباس ذاك ترجمان القرآن**»، فأثنوا عليه، وكان من أوسع الصحابة في التفسير والجلوس له وجلس في التفسير إلى آخر حياته وتتلمذ عليه عدد من التابعين، وكذلك أبي بن كعب رضي الله عنه، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير وغيرهم كثير ممن جلس للتفسير واعتنى به، وتميز تفسير الصحابة لقلة الاختلافات، وتميز أيضًا بوضوح المعاني.

وتميز أيضًا تفسير الصحابة بأنهم لم يفسروا القرآن كاملًا وإنما سلكوا منهج النبي صلى الله عليه وسلم، فكان يفسرون الآيات التي تحتاج إلى تفسير وأما الآيات الواضحة الدلالة التي لا تحتاج إلى تفسير فإنهم لا يتكلمون عنها، فجاء تفسيرهم على أفضل التفاسير من حيث الإيجاز والوضوح والدلالة، فرضي الله عنهم وأرضاهم.

ولأنهم على سليقة اللغة العربية السليمة وشاهدوا التنزيل، وحضروا فلم يحتاجوا إلى تفاسير كثيرة.

بعد عصر الصحابة جاء عصر التابعين، فاشتهر عدد من التابعين وبرز عدد كبير من التابعين في التفسير وهؤلاء هم الذين لازموا الصحابة، وجالسوهم، وأخذوا عنهم التفسير، واعتمد التابعون على فهمهم للقرآن مما نُقل إليهم من الأحاديث المرفوعة للنبي صلى الله عليه وسلم أو أقوال الصحابة وهم تلقوا من الصحابة ومما نُقل إليهم عن النبي صلى الله عليه وسلم وزادوا على ذلك فهمهم لأنهم عرب ويفهمون، فتوسع التفسير في عصر التابعين، ولازم التابعون أكثر الصحابة وظهرت مدارس؛ لأن الإسلام اتسعت رقعته وتوسعوا فظهرت مدرسة الكوفة والبصرة، والشام، ومصر، ومكة، والمدينة، فظهرت عدة مدارس فكان في مكة عبد الله بن عباس فتتلمذ عليه عدد ممن عاشوا في مكة؛ كمجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، وعطاء وغيرهم ممن جلسوا لملازمة ابن عباس والأخذ عنه.

وفي الكوفة ابن مسعود رضي الله عنه وعلي بن أبي طالب، وهكذا في الشام، وفي مصر، وانتشرت المدارس، وفي المدينة مدرسة أبي بن كعب وزيد بن ثابت، وبدأت تظهر يعني لهؤلاء مدارس، وتلاميذ فابن مسعود له تلاميذ مثل: علقمة، والأسود بن يزيد، وأيضًا عبيدة السلماني وغيرهم أيضًا أخذوا التفاسير أخذوا التفسير عن ابن مسعود وكذلك عن علي، وكبار التابعين أخذوا التفاسير، قتادة والحسن وغيرهم.

برز عدد كبير من التابعين الذين اشتهروا بالتفسير، ثم جاء بعد ذلك فترة تابعي التابعين؛ وهم الذين جاءوا بعد التابعين يسمون بتابعي التابعين؛ الذين أخذوا العلم عن التابعين يعني فترة النبوة فترة الصحابة، فترة التابعين وهؤلاء هم تلامذة الصحابة مباشرة ثم جاء من تتلمذ على التابعين الذين تتلمذوا على التابعين هؤلاء يسمون تابعي التابعين.

مثل: سفيان بن عيينة، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، ومثل شعبة بن الحجاج، ووكيع بن جراح، هؤلاء يعني اعتنوا بالتفسير وأخذوا التفسير عن كبار التابعين: مجاهد، وسعيد بن جبير وغيرهم، وهؤلاء أيضًا لهم عناية أخرى وهي أنهم كتبوا في التفسير وألفوا في التفسير وكتبوا، وأخذوا تفاسير ممن تقدمهم من الصحابة والتابعين، وألفوا فيه، فعبد الله بن رزاق الصنعاني له تفسير، وسفيان له تفسير، كله آثار منقولة عن الصحابة وغيرهم.

ثم بعد ذلك صنف العلماء في التفسير الكتب الكثيرة مثل: تفسير ابن ماجة، وتفسير الإمام أحمد، وتفسير ابن جرير الطبري، تفسير ابن أبي حاتم، هؤلاء كلهم يُعدون من تابعي التابعين أو ممن جاء بعد هؤلاء فكتبوا كتبوا مؤلفات كثيرة تفاسير كثيرة تفسير ابن مردويه، وتفسير ابن منذر، هذه كلها تفاسيرهم تفسير يحيى بن سلام، هذه التفاسير التي نتحدث عنها كلها تنقل لنا تفاسير مأثورة، إما مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم أو عن صحابته، أو عن التابعين الذين تتلمذوا وأخذوا عن الصحابة، كل تفاسيرهم هذه التي جمعت لنا؛ تفسير ابن ماجه، وتفسير النسائي، تفسير الإمام أحمد، وغيرهم كلها تعتني بتفسير الصحابة والتابعين كلها آثار.

ثم بعد ذلك جاء من جاء وكتب في التفسير في معاني القرآن دون النظر إلى الآثار، يعني يُفسر القرآن بلغة العرب، ولا ينقل عن الصحابة والتابعين وإنما يقف مع الآيات ويفسرها بلغة العرب وبأشعارهم، وهذا التفسير يسمى التفسير بالرأي، ما يسمى التفسير بالأثر، وهذا الذي توجه إليه أكثر من علماء اللغة الذين لهم عناية باللغة، وبدأوا يستخرجون معاني الآيات ويكتبون فيها.

من أشهرهم: أبو عبيدة معمر بن المثنى توفي سنة مائتين وعشرة له كتاب اسمه مجاز القرآن، أي: ما يجوز من معنى هذه الآية يعني ما يصح من معانيها، ولا يقصد بالمجاز مجاز القرآن الذي هو المجاز ضد الحقيقة الذي يعتبر المجاز الذي يسمونه المجاز والحقيقة أو المجاز البلاغي لا وإنما يقصد مجاز القرآن أي: ما يجوز في لغة العرب.

فكتب كتاب في بيان معاني الألفاظ، وكذلك كتب المعاني مثل معاني القرآن للفراء ومعاني القرآن للزجاج والأخفش والنحاس، هذه كتبوها لكنهم لا يذكرون فيها الآثار عن الصحابة والتابعين ما يقول: قال ابن عباس، أو قال: عكرمة، أو قال: مجاهد، وإنما يفسر المعاني بلغة العرب، يقول: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ **[البقرة:٢]**، أي: لا شك، والريب هو: الشك، ثم يتكلم عن اللغة العربية.

طيب هذه كتب المعاني ثم بعد ذلك استمر تصنيف في التأليف والتصنيف في التفسير فاتجه العلماء بعد ذلك إلى ثلاث اتجاهات:

الاتجاه الأول: التزموا تفاسير السلف مثل ما فعل عبد الرزاق بن همام الصنعاني، وابن مردويه، وابن المنذر، والإمام أحمد وغيرهم، هؤلاء الذين ذكرنا أسماءهم قبل قليل هؤلاء كلهم التزموا التفاسير المأثورة ولم يضيفوا عليها شيئًا، وهذا هو المنهج الأول التفسير بالأثر.

المنهج الثاني: هو تفسير بالمعنى، ومثل ما ذكرنا سابقًا: أهل المعاني وأهل اللغة اعتنوا وكتبوا في تفسير الآيات من حيث اللغة العربية ومعانيها، مثل كتب معاني القرآن ومجاز القرآن.

المنهج الثالث: جمعوا بين هذا وهذا، جمعوا بين التفاسير المأثورة وبين معاني الآيات بلغة العرب، فجمعوا بين هذا وهذا، حاول بعضهم أن يجمع مثل كتاب الواحدي والزمخشري، والقرطبي، والشوكاني، وابن كثير وغيرهم هؤلاء يسلكون هذا المسلك، أن يجمعوا بين اللغة وبين الأثر، الآثار يعني يجمعون بين التفسير بالرأي والتفسير.

وهكذا سار العلماء بعد ذلك في تأليفهم في كتب التفسير إلى العصر الحاضر وهم يسلكون هذه المسالك، إما تفسير بالأثر أو تفسير بالمعنى أو يجمعون بينهما والغالب الذي يغلب على العلماء إلى عصرنا الحاضر أنهم يجمعون بين هذا وهذا، فيذكرون هذا ويذكرون هذا.

مصادر التفسير، على ما يعتمد العلماء في التفسير؟ على ما يعتمدون إذا أرادوا أن يفسروا القرآن؟ نقول: المصادر التي يعول عليها العلماء في فهم القرآن الكريم هي عدة مصادر بعضهم قال: إنها أربعة، وبعضهم قال: إنها خمسة.

فنبدأ بها:

المصدر الأول: القرآن الكريم؛ القرآن الكريم هو أفضل الطرق، وأفضل المصادر؛ لأن القرآن يفسر بعضه بعضًا، فتجد آيات في القرآن مفسرة في آيات أخرى، وهذه أفضل الطرق في تفسير القرآن أن الله يبين معانيه في آيات أخرى وخير الطرق أن يفسر القرآن بعضه بعضًا، وممن اعتنى بهذا المنهج: ابن كثير رحمه الله، ابن كثير إذا جاء عند تفسير الآيات يفسر الآيات بآيات أخرى، يفسر القرآن بالقرآن ولذلك برز ابن كثير في هذا المنهج ثم جاء بعده الشنقيطي في أضواء البيان وألف كتابه أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن وهو يهتم بتفسير القرآن بالقرآن.

ومثلًا قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾[البقرة:٣٧]، ما هي هذه الكلمات؟ الكلمات المفسرة في القرآن نجدها في سورة الأعراف وهو قول الله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[الأعراف:٢٣]، هذا من تفسير القرآن بالقرآن سواءً هذا التفسير يأتي أحيانًا الكلمة في موضع وتفسيره في موضع آخر في سورة أخرى وأحيانًا يكون التفسير في نفسه، مثلًا قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾[البقرة:٤٥]، من هم الخاشعون؟ قال: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[البقرة:٤٦]، هذا تفسير القرآن بالقرآن كثير.

عندنا مثلًا هذا أفضل الطرق تفسير القرآن بالقرآن تجد قرآن يفسر بعضه بعضًا فتأتي الآية مجملة ومفسرة في موضع آخر أو مطلقة ومقيدة في موضع آخر، أو عامة ومخصصة في موضع آخر وهكذا، نجد كثير من الآيات القرآن الكريم يبين بعضها وهذا من أفضل الطرق.

فمثلًا كمثال: قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾[الغاشية:١]، فالغاشية ما هي؟ جاء تفسيرها في الآيات التي بعدها لما بدأ يفصل الله فيها ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾[الغاشية:٢]، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾[الغاشية:٨]، هذا هو حديث الغاشية، وهكذا تجد كثير في القرآن الكريم الآيات يفسر بعضها بعضًا.

إذا لم تجد للآية تفسيرًا في القرآن فإن المصدر الثاني هو السنة النبوية الصحيحة الثابتة تعتبر أفضل الطرق بعد القرآن الكريم، والنبي صلى الله عليه وسلم كان يعتني بتفسير الآيات ويبينها لأصحابه فإذا وجدت تفسير عن النبي صلى الله عليه وسلم فإن حسبك به وعليك بالالتزام به، وتفسير القرآن به فهو خير من أي تفسير آخر، الرسول صلى الله عليه وسلم أعلم الأمة بكتاب الله وبكلامه.

فهذا تفسير السنة؛ أن يُفسر القرآن بالقرآن، هذا معناه يفسر القرآن بالقرآن فهو أفضل الطرق وخير الطرق.

خير الطرق: تفسير القرآن بالقرآن ثم تفسير القرآن بالسنة فتجد أحيانًا ترد السنة وأحاديث تفسر القرآن وتوضح معانيه؛ كقوله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾[الأنعام:٨٢]، الصحابة لم يعرفوا هذا المعنى بدقة ثم تبين لهم ذلك الأمر بعد ذلك، كثير في آيات مثل: «ألا إن القوة الرمي»، وهكذا.

فنجد أن كثير من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم القولية مثل ما ذكرنا: «ألا إن القوة الرمي»، أو الفعلية أحيانًا مثل تفسير الصلاة وتفسير الحج، وتفسير الصيام، وتفسير الزكاة كلها مجملة في القرآن من الذي فسر لنا الصلاة؟ من الذي عرفنا بأن الصلاة خمس إلا السنة؟ فنجد أن الأحاديث تفسر الآيات القرآنية، لما يقول الله عز وجل: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ

﴿اللَّيْلِ﴾ [الإسراء:٧٨] ما نعرف أن هذه الصلوات خمس وأن كل صلاة لها ركعات إلا بالسنة فجاءت السنة تبين ما أُجمل في القرآن وتفسر ما أُبهم في القرآن وتخصص العام وتقيد المطلق، وتوضح المعاني والألفاظ السنة واسعة، جاءت عن النبي صلى الله عليه وسلم.

فالمصدر الثاني من مصادر التفسير: هو تفسير القرآن بسنة النبي صلى الله عليه وسلم الثابتة الصحيحة لابد أن تكون ثابتةً صحيحة.

المصدر الثالث: تفسير القرآن بأقوال الصحابة، أنت عليك أن تفسر القرآن بالقرآن أو بالسنة إذا لم تجد فتنتقل إلى تفسير القرآن بأقوال الصحابة، ما أُثر عن الصحابة؛ كتفسير ابن عباس، تفسير علي، وتفسير ابن مسعود، وغيرهم من الصحابة فإنهم أعلم الناس بالقرآن، ونأخذ تفاسيرًا أفضل وتعتبر تفاسيرهم حجة؛ لأن طبقة الصحابة تعتبر أفضل الطبقات العلماء.

وهم أعظم الناس إيمانًا وتصديقًا واتباعًا، وشاهدوا التنزيل وعرفوا وعاشوا مع النبي صلى الله عليه وسلم فأقوالهم معتبرة فنأخذ بتفسير الصحابة أو لا، إذا لم تجد تنتقل إلى المصدر الرابع وهو: أقوال التابعين.

إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا السنة ولا في أقوال الصحابة وعليك بأقوال التابعين؛ فإنهم هم تلامذة الصحابة وتفسيرهم في تفاسير الصحابة، فهم خير الأمة كما قال صلى الله عليه وسلم قال: «**خير القرون: قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»، وهم خير الأمة بعد الصحابة رضي الله عنهم، أخذ أقوالهم وتفاسيرهم والأفضل كتفسير مجاهد، يقول مجاهد: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات أوقفه عند كل آية، فتفسير مجاهد هو تفسير ابن عباس، وتفسير عكرمة هو تفسير ابن عباس، وقتادة والحسن البصري وغيرهم من أئمة الإسلام الكبار هم أولى بالأخذ من تفاسيرهم عن غيرهم، هذا هو المصر الرابع بعد القرآن والسنة والصحابة التابعون.

الخامس: اللغة العربية، عليك بديوان العرب، وعليك بالرجوع إلى لغة العرب لغريب القرآن وألفاظه من العلماء استندوا على لغة العرب والقرآن نزل بلغة العرب، كما قال سبحانه: ﴿**بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ**﴾ [الشعراء:١٩٥]، ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا**﴾ [يوسف:٢]، فعليك باهتمامك باللغة العربية والرجوع إلى مصادر اللغة العربية، ومعاجم اللغة العربية، وكتب المعاني.

يقول مجاهد وهو من أئمة التابعين يقول: لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالمًا بلغات العرب، ما تعرف لغة العرب كيف تفسر القرآن وهو نزل بلغتهم.

هذه المصادر الخمسة في مصادر التفسير التي ينبغي أن يعتمد عليها الإنسان، وهناك مصدر سادس قد يضاف إليها وهو أن يستند المفسر على ما يفهمه هو بقريحته وعلمه، يعني باستنباطه وفهمه وقراءته وسعة علمه، هذا يسمى علم الاستنباط، فتجده يرجع إلى كتب المصادر وإلى كتب التفسير، ويرجع إلى تفاسير السنة، وتفاسير الصحابة والتابعين، ويرجع إلى لغة العرب، ويبدأ يستخرج ويستنبط

معاني دقيقة ودلالات الآيات بفهمه هو وإدراكه مستندًا على ذلك على قواعد الشريعة، ومستندًا على فهم اللغة العربية، ولا يخرج عن ذلك.

فيُعطى يفتح الله عليه، فيستنبط كثير من المفسرين تجدهم يستنبطون معاني ويستنبطون دلالات وفهم وهذا معنى شيءٌ يهبه الله سبحانه وتعالى علم ذاتي يهبه الله سبحانه وتعالى لهذا الشخص فيكون عنده قدرة على الاستنباط والفهم، مثل ما قال علي رضي الله عنه لما قرأ: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾[البقرة:٢٣٣].

ثم قرأ آية الأحقاف: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾[الأحقاف:١٥]، قال: هذان حولين كاملين، يعني أربع وعشرين شهر، وثلاثين الحمل والفصال.

الفصال هو الرضاعة، الرضاعة عرفنا أنها حولين كاملين يعني أربعة وعشرين شهر كم يبقى من الثلاثين؟ يبقى ستة أشهر، هذه تعتبر إيش؟ قالوا: هذا أقل مدة الحمل، قد تحمل المرأة وتضع في تسع أشهر، في ثمانية، في عشرة، هو قال: أقل ما يكون ستة أشهر؛ لأن الآية أشارت إليه، هذا من الذي استخرجه؟ استخرجه علي بأي شيء؟ بفهمه، وهكذا نقول لكل من يفهم القرآن ويدرسه يستطيع أن يستخرج هذه المعاني الدقيقة.

لكن هنا نقطة مهمة: وهو أن ما من مفسر إلا ويحتاج إلى علوم واسعة حتى يكون متقنًا لتفسيره، أن يكون عالمًا بعلوم كثيرة واسعة.

طيب هذه العلوم تحتاج منا إلى أن نتكلم عنها، نبسط الحديث عنها، ولكن الوقت يضيق بنا والآن وقت الصلاة ولعلنا نقف عند هذا القدر.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد...

فأهلًا بكم جميعًا مجددًا في لقاءات الأكاديمية مع فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور/ يوسف الشبيل حفظه الله؛ عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، فباسمكم جميعًا نرحب بفضيلة الشيخ حفظه الله سائلين المولى عز وجل التوفيق والسداد.

بسم الله والحمد لله وأصلي وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه واتبع سنته إلى يوم الدين، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وارزقنا العلم النافع والعمل الصالح يارب العالمين.

أيها الإخوة الكرام وأيتها الأخوات الفاضلات: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحياكم الله في هذا اللقاء المبارك، وفي هذا اليوم وهو يوم الثلاثاء الموافق للسابع عشر من شهر جمادى الأولى من عام ألف وأربعمائة وثلاثة وأربعين من الهجرة، في هذه اللقاءات المباركة في لقاءاتنا الماضية تحدثنا عن علوم القرآن والتعريف بعلوم القرآن ثم انتقلنا إلى علوم التفسير وبينا ما المراد بالتفسير؟ وما الفرق بين التفسير والتأويل؟ ومتى نشأ علم التفسير ومتى عُرف؟.

وأيضًا تحدثنا عن مراحل التفسير في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ثم في زمن الصحابة رضي الله عنهم، ثم في زمن التابعين، ثم ما بعد التابعين، ثم المصادر التي يُعول عليها في فهم القرآن والمصادر التي يعتمد عليها المفسر إذا أراد أن يفسر كلام الله ويتكلم في علم التفسير، ما المصادر التي يعتمد عليها ويستقي علمه وتفسيره منها؟

ذكرنا أن من أهم المصادر هو: القرآن الكريم فإن القرآن يفسر بعضه بعضًا، ثم تحدثنا عن السنة النبوية المطهرة الصحيحة التي هي المصدر الثاني والتي فيها تفسير القرآن الكريم؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم فسَّر للأمة ما تحتاج إليه.

ثم أقوال الصحابة الكثيرة المتنوعة، حيث أن الصحابة رضي الله عنهم اهتموا بالقرآن الكريم وجلسوا له قراءةً وتعليمًا وتفسيرًا فأثر عنهم تفاسير كثيرة كابن عباس، وابن مسعود، وزيد بن ثابت وأبي بن كعب وغيرهم من مشاهير الصحابة.

ثم بعد ذلك جاء زمن التابعين وهم تلامذة الصحابة الذين أخذوا التفسير عن الصحابة وتوسعوا فيه، فاتسعت دائرة التفسير وكان للتابعين أثر كبير في تفسير القرآن العظيم واشتهر عدد كبير من التابعين؛ كمجاهد وقتادة، وسعيد بن جبير وغيرهم ممن عُرف بعلم التفسير.

ثم إذا الإنسان اعتمد على هذه المصادر الأربعة:

تفسير القرآن بالقرآن.

ثم بالسنة.

ثم بأقوال الصحابة.

ثم بأقوال التابعين.

فإنه له أن يرجع أيضًا إلى لغة العرب فإن القرآن الكريم نزل بلغة العرب فعلى من أعطاه الله المعرفة والتمكن في العلم ولغة العرب ومصادر اللغة فكتب معاني القرآن، وكتب المعاجم اللغوية فإنه بإذن الله إذا رجع إليها فإنها ستفيده، فإن كما قال عمر رضي الله عنه عمر بن الخطاب قال: (عليكم بديوان العرب) فأشعار العرب وكلام العرب وما أودع في كتب المعاني وكتب اللغة تفيد المفسر كثيرًا في فهم معاني القرآن الكريم فيرجع إلى كتب غريب القرآن وكتب معاني القرآن فإنه تفيده، وكتب مفردات القرآن فإنها خير معين لتفسير القرآن الكريم فيتبين لنا أن مصادر التفسير التي يرجع إليها المفسر هي تفسير القرآن بالقرآن وهو أجلها وأعظمها ثم تفسير القرآن بالسنة ثم بأقوال الصحابة، ثم بأقوال التابعين، ثم بفهم اللغة العربية وبهذا يتمكن الإنسان من فهم كلام الله وتدبره.

قد يكون الإنسان ليس عنده القدرة أن يرجع إلى هذه المصادر التي ذكرناها، فلابد أن يكون عنده معرفة بكتب التفسير التي يعتمد عليها، وهذه ستأتينا إن شاء الله ما الذي يرجع إليه المفسر إذا أراد أن يقرأ كتابًا من كتب التفسير، ليس كل كتاب من كتب التفسير يعتمد عليه الإنسان قد يكون فيه من الأخطاء وفيه من البدع، وفيه من الخرافات، وفيه ما يخالف مذهب السلف، فليس كل تفسير يقرأه الإنسان لابد أن يرجع إلى التفاسير المعتمدة التي تطمئن لها النفس.

عندنا مسألة وهي: ما يتعلق بعلم التفسير وهو ما هي العلوم التي يحتاجها المفسر؟ المفسر إذا أراد أن يفسر القرآن ويفهم معانيه فإن لابد أن يكون قد ألمَّ بكثيرٍ من العلوم ليس كل إنسان يستطيع أن يتكلم بالتفسير كما جاء في حديث قال: «**من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار**»، هذا وعيد شديد لمن يتكلم في القرآن من غير علم وإنما يتخرص تخرصًا ويتكلم من غير علم فلابد أن يكون عنده علم وعنده معرفة في القرآن الكريم وفي التفاسير.

فما هي العلوم التي يحتاجها المفسر عندما يريد أن يفسر القرآن الكريم؟

نقول: ذكر أهل العلم مجموعة من العلوم التي لابد أن تكون في جُعبة المفسر ولابد أن تكون عند المفسر الذي يريد أن يفسر القرآن الكريم أن يكون قد أحاط وألمَّ بهذه العلوم حتى يستطيع أن يُقدم على تفسير القرآن الكريم وأن يبين معاني القرآن وأن يتكلم بالقرآن بعلم ويفهم المعاني والدلالات والأحكام التي تضمنها كلام الله سبحانه وتعالى، وأول هذه العلوم لابد أن يكون على علم بلغة العرب، اللغة العربية هي أساس القرآن الكريم والقرآن الكريم نزل بلغةٍ عربية قال الله عز وجل: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا**﴾[يوسف:٢]، وقال في موضعٍ آخر: ﴿**قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ**﴾[الزمر:٢٨].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾[الشعراء:١٩٥]، فإذا إنسان ما عنده علم بالعربية فكيف يتكلم بالقرآن؟ فنقول: لابد أن يكون ملمًا بلغة العرب التي هي أساس القرآن الكريم؛ حتى يفهم مفردات القرآن الكريم ويفهم الألفاظ القرآنية وما تدل عليه.

هناك ألفاظ لا يستطيعها كل إنسان لابد أن يرجع إلى كلام العرب وينظر فيها، ولو جاءك إنسان وقال لك: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾[العاديات:١]، ما معنى ﴿ضَبْحًا﴾؟ ما معنى قوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾[العاديات:٦]؟ ما معنى قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا﴾[النساء:٨٥]، هناك ألفاظ ما يستطيعها الإنسان وكذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾[المعارج:٣٧]، ما معنى ﴿عِزِينَ﴾؟ ما معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾[المعارج:١٩]؟ ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾[المعارج:٨].

هذه كلمات كقوله تعالى: ﴿وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾[القلم:٢٥]، ما معنى ﴿حَرْدٍ﴾؟ هذه ألفاظ ما يستطيعها أي إنسان لابد أن يكون ملمًا ويرجع إلى مفردات اللغة العربية وإلى ألفاظ القرآن الكريم التي يجدها في كتب اللغة في معاجم اللغة لابد أن يكون، وكذلك لابد أن يكون محيطًا وعارفًا وعالمًا بعلم النحو، وهو ما يسمى بعلم الإعراب، علم النحو؛ وهو معرفة حركات آخر الكلمة إذا ما يعرف سيفسر القرآن ويقع في أخطاء كثيرة فإذا قرأ قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ﴾[إبراهيم:٢٤]، من هو الذي ابتلى؟ إبراهيم ولا ربه؟ ما يعرف اللغة العربية، ما يعرف النحو سيقع في أخطاء كثيرة ويضل غيره، فلابد أن يكون عنده معرفة بالفعل والفاعل، والمبتدأ والخبر والمفعول به، والحال، والصفة، هذه العلوم التي لابد أن يكون عنده علم بها، والجار والمجرور، والمضاف، والمضاف إليه، إذا ما يعرف أساسيات النحو فإنه سيقع في أخطاء كثيرة.

كذلك ما يسمى بعلم الصرف، علم الصرف المراد: هو علم بناء الكلمة وصيغة الكلمة، المفردة والكلمة القرآنية قد توزن بوزن، وهذا الوزن لابد أن يعرف إذا ما يعرف الوزن ما يعرف كلمة الوزن فما يستطيع أن يفسر مثل قوله تعالى: ﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾[الفجر:٩]، ما معنى ﴿جَابُوا﴾؟ هل هي من جاب ولا من جوب؟ هذا الوزن، جوب يعني فعل، أو جاب بالألف، فال أو فعل، فلابد لأن إذا قلت: جوب يكون من الجوب، وإذا قلت: جاب من الجاب، فيختلف المعنى كبير فهذا معنى الوزن؛ هو تحليل الكلمة القرآنية وبيان وزنها وضبطها؛ حتى لا تدخل بألفاظ أخرى وتختلف عليك لابد أن تعرفها.

كذلك ما يسمى بعلم الاشتقاق يعني تعرف من أين اشتُقت هذه الكلمة، من أين أوتي بها، ما أصلها، كنود، كند، ما معنى كند؟ من أين جاءت أصل كند؟ ما معناها؟ هل الكنود هو الجحود؟ يعني لها أصول، فعلم الاشتقاق هو إرجاع الكلمة إلى أصولها، وإلى جذورها، وهذه يحتاج إليها المفسر حتى

يعرف معاني القرآن الكريم على الوجه الصحيح ويبين ويميز بين الألفاظ من حيث المعنى ومن حيث الاشتقاق، ومن حيث الدلالات كل هذا يحتاجه.

كذلك من العلوم التي يحتاج إليها المفسر: ما يسمى بعلم البلاغة، وعلم البلاغة قسمه أهل البلاغة إلى ثلاثة أقسام:

علم البيان.

وعلم المعاني.

وعلم البديع.

وهي علوم تُمكن المفسر من الوقوف على حقائق الإعجاز اللغوي، والإعجاز البياني، والإعجاز البلاغي فلا تستطيع إذا قرأت في كتب التفسير التي تهتم بالبلاغة القرآنية ما تعرف وأنت ليس عندك علم بالبلاغة أو أردت أن تفسر الآية وفيها وجه بلاغي ما تعرف ما هذا الوجه البلاغي وكيف توضحه، وتفهمه إلا بعدما تكون ملمًا بعلوم البلاغة.

كذلك علوم أصول الفقه وكذلك مقاصد الشريعة وهو يفيدك في استنباط الأحكام التفصيلية إذا لم يكن عندك إلمام بأصول الفقه وليس عندك إلمام بمقاصد الشريعة ثم تأتي إلى آيات فيها أحكام فقهية ما تعرف ما هذه الأحكام، ولا تستطيع أن تستنبط من الآية أحكام ولذلك كثير من المفسرين استنبط أحكامًا دقيقة من الآيات؛ لكونه ألمَّ بعلوم وبأصول التفسير ومقاصد الشريعة، فمثلًا الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله في تفسيره تفسير السعدي لما جاء عند آية الوضوء ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾[المائدة:٦]، استنبط منها خمسين حكمًا وفائدة شرعية، آية واحدة فيها خمسين حكمًا؛ لأنه ملم بأصول التفسير وأصول الفقه، ومقاصد الشريعة، لذلك يستطيع أن يفهم ويستخرج من الآيات دلالات كثيرة وأحكام كثيرة.

كذلك لابد لمفسر أن يكون على معرفة ودراية بأسباب النزول، يعني هذه الآية نزلت لسبب إذا عُرف السبب عُرفت الآية وإذا جُهل السبب لم تُفهم الآية فلابد أن يكون عنده علم بأسباب النزول، يعرف يعني يقف على وقائع الآية وأحداث الآية، ومناسبات الآية، والظروف والأوقات التي نزلت فيها هذه الآية أو هذه السورة، هذه لابد أن يعرفها ما أسباب آيات الإفك وقصة عائشة في سورة النور، ما أسباب نزول مثلًا ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾[البقرة:١٢٥].

وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾[البقرة:١٥٨].

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾[البقرة:٢٢٢].

كل الآيات التي فيها يسألونك هي تكون نازلةً لسبب معين ما السبب؟

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾[البقرة:٢٢٠].

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾[البقرة:٢١٩].

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾[البقرة:٢١٥].

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ﴾[طه:١٠٥].

هذه كلها لابد أن يكون عارفًا بأسباب النزول؛ لأن القرآن الكريم انقسم قسمين من حيث النزول: قسمٌ ينزل ابتداءً دون سبب وهذا هو الكثير آيات وسور، وتنزل هكذا.

وقسمٌ يكون نزوله لسبب مثل: سورة الأنفال نزلت لبيان حكم الأنفال والأنفال هي: الغنائم التي يغتنمها والتي يحصل عليها المجاهدون في الغزوات إذا نصرهم الله فإنهم ينتصرون على العدو فيأخذون ما تركه العدو، هذا الذي تركه العدو يسمى غنيمة، تسمى غنائم قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾[الأنفال:٤١]، إلى آخر الآيات، فإنه يُخمس ثم يوزع على المجاهدين فكلٌّ يأخذ نصيبه هذا يسمى بالغنائم أو الأنفال.

سورة الأنفال لها سبب نزول وهي: أن الصحابة رضي الله عنهم لما نصرهم الله سبحانه وتعالى ببدر وانتصروا على المشركين، المشركون فروا هاربين وقُتِل من قُتل منهم وأُسر من أُسر تركوا كثيرًا من عدتهم، فأخذها الصحابة رضي الله عنهم.

هذه العدة التي أخذها الصحابة ماذا صنعوا بها؟ تحيلوا فيها فنزلت آية الأنفال، وسورة الأنفال لتبين للناس حكم هذه الأنفال، وهذه الغنائم، أسباب النزول مهمة جدًا لو جاء إنسان يريد أن يفسر سورة الأنفال ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾[الأنفال:١] وهو ما يدري ما معنى الأنفال وما سبب نزول ما يستطيع أن يفسر القرآن إلا بعدما يعرف أسباب النزول.

طيب، هذه العلوم التي ذكرناها هي أهم العلوم التي يحتاجها المفسر بعد ما يكون عالمًا بالقرآن وعالمًا بالسنة يحتاج إلى اللغة العربية لإعرابها ومعانيها ومفرداتها وغريبها واشتقاقها وتصريفها، وأن يكون ملمًا بصور التفسير وأصول الفقه، ومقاصد الشريعة وأسباب النزول وغيرها من العلوم التي يحتاجها المفسر.

لو قيل لك: ما أنواع التفسير؟ وما أقسام التفسير أيضًا؟ فنقول: أنواع التفسير ذكر أهل العلم أن التفسير على نوعين:

تفسير بالمأثور.

وتفسيرٌ بالرأي.

التفسير بالمأثور؛ هو التفسير الذي أُثر عن السلف ونُقل عنهم هذا يسمى التفسير بالأثر أو التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي: هو الذي يجتهد فيه المفسر بعدما يكون ملمًا بأدوات التفسير وإذا كان محيطًا وعالمًا بأدوات التفسير وعالمًا بالقرآن والسنة ولغة العرب فإنه يفسر القرآن بالرأي؛ لأن تفسير القرآن بالرأي على نوعين:

تفسير بالرأي المقبول الصحيح.

وتفسير بالرأي المحرم؛ وهو أن يفسر القرآن برأيه دون أن يكون عنده علم لا بالقرآن ولا بالسنة ولا بلغة العرب وإنما يتكلم بالقرآن برأيه فهذا يسمى التفسير بالرأي المحرم، الرأي المجرد من الدليل فيأتي يفسر القرآن برأيه وهذا لا يجوز هذا محرم، **«مَن قالَ في القُرءانِ برَأيِه فَلْيَتَبَوّأ مَقعَدَه مِن النّار»**، فعليه أن ينتبه لهذا الأمر، فنقول: التفسير نوعان:

تفسيرٌ بالأثر؛ وهو ما نُقل عن السلف إلينا كتفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالسنة، وتفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين هذا يسمى تفسير بالأثر؛ لأنه أُثر ونُقل إلينا ما أُثر ونُقل إلينا هذا يسمى التفسير بالأثر، وهو أن يكون التفسير أو المفسر معتمدًا على الآثار ومعتمدًا على أقوال السلف الصحيحة المنقولة إلينا، ومعتمدًا على السنة النبوية الصحيحة الثابتة، وأقوال الصحابة الكرام، وأقوال التابعين لكن لابد أن يكون معتمدًا على ما صحَّ عنهم؛ لأنه كثُر من أهل البدع أنهم ينسبون أقوالًا لأجلاء الصحابة والتابعين ويقول: هذا القول قال به ابن عباس، قال به علي رضي الله عنه، قال به عمر رضي الله عنه، قال به زيد بن ثابت وهم لم يقولوا، فليس كلما ذُكر في كتب التفسير بأنه منسوب إلى السلف قال به مجاهد، قال به مقاتل، قال به سعيد بن جبير، قال به عكرمة، هذا ما نستطيع .. ليس كلُّ ما نُقِلَ من أقوال السلف صحيح.

فنقول: القاعدة: لابد أن يكون المفسر الذي يرجع لأقوال السلف أن يتأكد من صحتها ونسبتها، وإلا قد كُذب عليهم كما كُذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالذين كذبوا على الرسول كذبوا على الصحابة وكذبوا على التابعين فلابد أن نرجع إلى ما أُثر عنهم.

قد يسأل سائل يقول: طيب كيف أميز بأن هذا القول صحَّ عن ابن عباس وصحَّ عن ابن مسعود أو لم يصح؟ نقول: كتب العلم موجودة ارجع إلى كتب العلم وكتب العلماء الذين تطمئن إليهم، هناك تفسير اسمه تفسير ابن عباس موجود نسأل عنه حتى نعرف أن هذا هو التفسير؛ لأن تفسير ابن عباس أيضًا كثير ومطبوع فيه ما صح عنه وفيه ما لم يصح.

فنبحث عن الكتب التي اعتمدها العلماء مثل تفسير ابن عباس، ومثل تفسير الطبري هو ينقل عن العلماء المتقدمين فهو جمع لنا أقوال السلف وهو ما تطمئن إليه النفس، كذلك تفسير ابن عيينة سفيان ابن عيينة، وتفسير المحرر الوجيز لابن عطية، وتفسير ابن كثير ينقل عن السلف ابن كثير، تفسير الشنقيطي ينقل عن السلف فكتب التفسير المشهورة هي التي تنقل لنا أقوال السلف من الصحابة والتابعين، هؤلاء يُرجع إليهم، فتح القدير للشوكاني، فتح البيان، صديق حسن خان، وهكذا كتب كثيرة عن علماء أجلاء تطمئن النفس إليهم فيُرجع إليهم، يُرجع إلى أقوالهم، يجد فيها أقوال التابعين، ويجد فيها أقوال الصحابة رضي الله عنهم.

ومن أشهرها: تفسير جامع البيان للإمام محمد بن جرير الطبري؛ هو من أشهر هذه التفسير ويرجع إليه ويقرأ فيه فيجد أقوال الصحابة ويجد فيه أقوال التابعين وأقوال أئمة الإسلام وهو على العقيدة الصحيحة وهو من أهم الكتب المتعلقة بالتفسير بالأثر من أهم الكتب، وهناك تفاسير كثيرة غير هذا التفسير موجودة يرجع إليه الإنسان ويقرأ فيها، وأيضًا ذكرنا لكم تفسير القرآن العظيم لابن كثير وهو إمامٌ تطمئن النفس إليه، وإمامٌ مجتهد، وإمامٌ أمين في نقله عن أقوال السلف وذكره لأقوال التابعين والصحابة.

إذا عرفنا هذا التفسير بالأثر إذًا ما هو التفسير بالرأي؟ نقول: التفسير بالرأي هو الذي يقابل التفسير بالأثر، فالتفسير بالرأي المراد به: التفسير بالرأي والاجتهاد؛ وهو أن يأتي إلى الآية القرآنية ويفسرها برأيه واجتهاده لكن مثل ما ذكرنا سابقًا أن التفسير بالرأي ليس لكل إنسان أن يتكلم بالقرآن برأيه وإنما لابد أن يكون عنده إلمام وعنده معرفة بأقوال القرآن الكريم أولًا حافظًا للقرآن متقنًا له، وعارفًا بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، عارفًا بأقوال الصحابة والتابعين، ثم عنده معرفة بلغة العرب واشتقاقاتها وأساليبها وإعرابها وصرفها ونحو ذلك، فإذا كان من المجتهدين العالمين بهذه العلوم فقد يكون وصل إلى درجة الاجتهاد والتفسير بالرأي في القرآن الكريم وهو ينظر إلى القرآن وإلى ألفاظه بمعرفة وعلم وهذا تفسير بالرأي المباح الجائز الذي يكون صاحبه عنده علم بمثل هذه الأمور، أما إذا كان غير ذلك فإنه يسمى تفسير بالرأي المحرم ليس عنده علم وإنما يتكلم بالقرآن برأيه دون أن يكون عنده علمٌ بذلك.

طيب لو سألك سائل وقال لك: التفسير بالرأي الذي ذكرته وهو أنه يفسر القرآن باجتهاده وهو على علم ودراية ما الدليل على ذلك؟ نقول: اقرأ قول الله سبحانه وتعالى، قال: ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ**﴾، أي: يا محمد ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ**﴾ أي: القرآن ﴿**لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**﴾ ثم قال بعدها: ﴿**وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[النحل:٤٤]، يتفكرون في أي شيء؟ يتفكرون في الآيات وينظرون فيها ويستخرجون ما فيها من علم فدلَّ ذلك على أن الإنسان يجتهد إذا كان على علم.

كذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾[ص:٢٩]، ﴿**لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ**﴾ من الذي يتدبر القرآن إلا من كان مؤهلًا كان على علمٍ ودراية فهو الذي يتدبر القرآن قال سبحانه وتعالى: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾[محمد:٢٤]، يعني لماذا لا يتدبرون القرآن؟ لماذا لا يتأملون في آياته فإن الذي يُعرض عن القرآن يقفل الله على قلبه، يُغلق الله على قلبه، ﴿**أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾ فإذا أغلق الله على قلبه بسبب إعراضه خسر ولم يتدبر القرآن ولم يحصل على معرفة السنة ومعرفة الشريعة، وضل وأضل.

وقل سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ﴾، أي: ما يقع منهم من اختلاف ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾[النساء:٨٣]، فدلَّ على أن هناك من يجتهد ويستنبط من الآيات والدلالات والأحكام.

كتب التفسير بالرأي كثيرة، كتب معاني القرآن للزجَّاج ومعاني القرآن للنحاس، ومعاني القرآن للفراء، وكتب غريب القرآن لابن قتيبة، وغريب القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام، ومجاز القرآن لأبي عبيدة كل هؤلاء علماء باللغة ويفهمون القرآن الكريم واشتغلوا في القرآن الكريم.

كذلك كتب التفسير بالرأي، مثل: تفسير القرآن، تفسير القرطبي، وتفسير البغوي، وتفسير البيضاوي، وتفير الجلالين، وتفسير السعدي كلها كتب تفسير بالرأي، كتب صحيحة وإن كان بعضها عليه بعض الملاحظات، هذه هي الكتب التي يرجع إليها المفسر.

طيب عندنا أيها الإخوة والأخوات ما الكتب التي يعتمد عليها المفسر ويتجنب الكتب التي قد يقع في أخطاء وقد يكون عليها بعض الملاحظات عقدية أو غير العقدية؟

فنقول: أفضل كتب التفسير: هو تفسير جامع البيان للطبري.

ثم كتاب تفسير ابن كثير الذي هو يعدُّ ثاني كتب التفسير بالرأي، كذلك كتب التفسير بالأثر.

كذلك عندنا تفسير أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن للإمام الشنقيطي؛ لأنه فسَّر القرآن بالقرآن بقدر الإمكان وهو من أجل الكتب وأفضلها.

كذلك كتاب تفسير السعدي، التفاسير بالرأي ولكنه تفسيرٌ جميل وطيب وحسن وفيه فوائد كثيرة وصاحبها على عقيدة سليمة.

كذلك تفسير الشوكاني وهو يجمع بين الأثر واللغة، ويوجد عليه ملاحظات يسيرة ينبغي التنبه لها كما يقع منه في بعض المسائل أو بعض الآيات المتعلقة بالعقيدة.

كذلك تفسير القاسمي من أجل التفاسير وأفضلها وصاحبها على العقيدة السليمة.

كذلك تفسير التحليل والتنوير لابن عاشور وإن كان عليه ملاحظات في العقيدة لنه تفسيرٌ جيد تفسير بلاغي ولغوي ويهتم بفوائد اللغوية والبلاغة، تفسير أبي السعود وهكذا تفاسير كثيرة جدًا، فهذه يرجع إليها الإنسان.

قد يسأل سائل ويقول: أنا حديث عهد بالتفسير وليس عندي علم وأريد أن ابتدئ بالتفسير فما الذي تنصحوننا بأن نرجع إليه عندنا أريد أن أبتدئ بعلم التفسير؟ فنقول: أي إنسان يريد أن يبتدئ بأي علم من العلوم يبدأ بالمختصرات ويبدأ بالأسهل ثم يرتقي يرتقي يرتقي، حتى يكون واسع، فهو يبدأ بالأيسر والأسهل، ويبدأ بالأشياء المختصرة الصغيرة فنقول له: أولًا: تبدأ بكتب معاني القرآن المختصرة معاني مفردات القرآن المختصرة، وتبدأ بالكتب المختصرة مثل: المختصر في التفسير ومثل: كتاب الميسر لتفسير القرآن الكريم هذا من أفضلها ويبين المعاني باختصار، ثم يرتقي بعد ذلك وينتقل إلى تفسير

السعدي فإنه أوسع قليلًا وهو مفيد وسهل، ثم بعد ذلك ينتقل إلى مختصرات تفسير ابن كثير، ابن كثير له مختصرات مفيدة، ابن كثير واسع لكن له مختصرات مفيدة؛ لأن تفسير ابن كثير من أفضل التفاسير فله مختصرات مثل: مختصر عمدة التفسير لأحمد شاكر وغيره من المختصرات التي اختُصرت لابن كثير وهي مهمة جدًا ثم يرتقي شيئًا فشيئًا فيدخل في تفسير مثلًا فتح القدير للشوكاني ثم يتوسع يتوسع ويذهب إلى المطولات لكنه يبدأ أولًا بالمختصرات.

أيها الإخوة وأيتها الأخوات: هذا ما يتعلق بعلم التفسير وأصول التفسير ودرسنا وتبين لنا علومًا لها علاقة بالتفسير القرآن العظيم وبأصول التفسير وبعلوم القرآن.

فلعلنا نقف عند هذا القدر وإن شاء الله في اللقاء القادم نود نحن وإياكم بعدما عرفنا هذه المقدمات الأساسية المهمة في علوم القرآن والمهمة في التفسير إن شاء الله نأخذ كتابًا من كتب علوم القرآن فنقرأه إن شاء الله ونستفيد منه، ثم بعد ذلك إن شاء الله نأخذ كتابًا من كتب التفسير لنأخذ سورةً معينة ونقرأها إن شاء الله، فالآن نحن عرفنا الآن وأصبح عندنا معرفة لمقدمات علوم القرآن والتفسير بعد ذلك ندخل في الدراسة التطبيقية في قراءة كتب العلماء إن شاء الله إلى هذا نقف عند هذا القدر والله أعلم.